عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

١ «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا،

٢ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٣٣٦).

(٣٣٦) رواه البخاريُّ (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

آيات

- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].
- ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

الراوي

هو: عبدُ الله بنُ مسعودِ بنِ غافلِ بنِ حبيبٍ، الهذليُّ، أبو عبد الرحمن، صاحبُ رسول الله ﷺ، أسلَم بمكَّةَ قديمًا، وهاجر الهجرتَين، وشهد بَدْرًا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو صاحبُ نَعْلِ رسول الله ﷺ، كان يُلبِسُه إيَّاها إذا قام، فإذا جلس أدخلها في ذراعه، تُوفِّيَ بالمدينة سنةَ (٣٢هـ)، أو (٣٣هـ)[1].

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الصدقَ دليلٌ إلى كلِّ خير، فيؤدي ذلك إلى دخول الجنة، وإنَّ الرجل ليعتاد الصدق حتى يَدخل في زُمرة الصِّدِّيقين. وفي المقابل فإنَّ الكذب بابُ كلِّ معصيةٍ وفسادٍ، وهو باعثٌ إلى دخول النار، وإنَّ الرجل ليعتاد الكذب حتى يُختم له بختم الكذابين.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ١٧٦٥)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٨٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/ ١٩٨).

١ يأمرُ النبيُّ ﷺ أُمَّتَه بأن تلتزمَ الصِّدْقَ؛ فإنَّ الصِّدق يهدي صاحبَه إلى البر، وهو اسمٌ جامعٌ لكل خيرٍ، فيقودُه ذلك إلى دخول الجَنَّة. وإنَّ المسلمَ ليصدقُ ويعتاد الصِّدْق ويألفُه في الرَّخاءِ والشِّدةِ حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقًا.

والصِّدِّيقُ: المُلازمُ للصِّدقِ الذي لا يَكذِب. فإذا أدمنَ العبدُ الصِّدْقَ كتبه اللهُ سبحانه عنده صِدِّيقًا، فيشتهر بين النَّاس بذلك إكرامًا له كما يُوضَعُ له القَبُول بينهم، ويشتهر بذلك في الملأ الأعلى جزاءً لِصِدْقِه، وحَشَرَه جلَّ وعلا في زُمْرَةِ الصِّدِّيقين، وهم أعلى النَّاس منزلةً بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وقد أَمَر اللهُ تعالى عبادَه بالصِّدق والدُّخولِ في كَنَفِ الصَّادقين، قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وأخبر ﷺ أنَّ أفضلَ النَّاسِ الصَّادقون؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»(٣٣٧).

٢ وحذَّر ﷺ من الكَذِب؛ فهو رأسُ كلِّ شرٍّ، وهو القائدُ إلى الفساد والمعاصي، وذلك مُفْضٍ إلى أن يُكتَبَ الكاذبُ في النَّار. وأخبر ﷺ أنَّ الرجلَ إذا أَلِفَ الكذبَ واعتادَه كُتب عند الله تعالى كَذَّابًا، فيشتهر بين النَّاس وصفُه بذلك تعييرًا له وتوبيخًا، ويُذَمُّ بذلك بين أهل الملأ الأعلى، ويُحشر يومَ القيامةِ في زُمْرة المنافقين.

وقد أخبر ﷺ أنَّ الكذب من صفات المنافقين وأماراتهم، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ»(٣٣٨).

وقد جعل النبيُّ ﷺ المُعوَّل في صلاحِ العبدِ وفساده على اللسان؛ فقال ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»(٣٣٩).

---

(٣٣٧) رواه ابن ماجه (٤٢١٦).

(٣٣٨) رواه البخاريُّ (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣٣٩) رواه أحمد (١٣٠٧٩).

١ (١) الزم الصدق؛ فإنَّه الفاصلُ المميز بين النفاق والإيمان، والحكم العدل بين أهل الجنة وأهل النيران.

٢ (١) الصِّدْقُ هو المرتبة العليا في الإسلام، ولهذا أرشد اللهُ تعالى عباده أن يكونوا مع الصَّادقين، وجعل جزاءَ أصحابِ الطاعات أن يُحشروا مع الصِّدِّيقين، وهذا يدلُّ على عظيم منزلتهم وقُربهم من اللهِ تعالى. أفلا يُطَمِّعنا هذا أن نحرص على الصِّدق؟!

٣ (١) فضَّلَ اللهُ سبحانَه اللسانَ على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فضيلتَه، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده. فلا يحسن بالمسلم أن يعوِّد لسانه على الكَذِب؛ بل يجب عليه أن يعوده لزوم الصدق، وما يَعُود عليه بالنفع في دارَيْهِ؛ لأنَّ اللسان يقتضي ما عُوِّد؛ إن صدقًا فصدقًا، وإن كذبًا فكذبًا.

٤ (١) إذا أردتَ أن يحسن أثرُك في النَّاس، فلا تجعلهم يتهمونك بكذبٍ أو رِيبةٍ، فكن صادقًا يكتبك الله في الصِّديقين ويُوضع لك القبول في الأرض.

٥ (١) الصِّدْق في القول يرفع درجات العبدِ في الدُّنيا والآخرة؛ قيل للقمان الحكيم ﷺ: «ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداءُ الأمانة، وتركي ما لا يَعنيني»[٣٤٠].

٦ (١) الصِّدقُ صفةٌ من صفات الله تعالى، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. فهلَّا تشبَّهنا باللهِ عزَّ وجلَّ في صفته!

٧ (١) إذا أردتَ صلاح الأعمال فابدأ بإصلاح الكلام، فلا تنطق إلا صدقًا؛ فإن الصِّدق يهدي إلى البرِّ. قال يونسُ بنُ عبيد رحمه الله: «ما رأيت أحدًا لسانُه منه على بال، إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله»[٣٤١].

٨ (١) إياك أن تظنَّ أنَّ النَّجاةَ في الكَذِب؛ فربما تنطلي حِيَلُك وأباطيلُك على النَّاس، لكنَّها لن تمرَّ على ربِّك. فالزم الصِّدْقَ تنجو. فهذا كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ لمَّا تخلَّف عن غزوةِ تبوك، وجاء المنافقون إلى النبيِّ ﷺ يعتذرون إليه بالأباطيل والأكاذيب، أبى إلا أن يَصْدُق النبيَّ ﷺ القولَ، فكانت عاقبةُ ذلك أن قَبِلَ اللهُ تعالى توبته، وأنزل فيه آياتٍ تُتلى، وختمها بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩][٣٤٢].

---

(٣٤٠) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٨).

(٣٤١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١١٢)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٠).

(٣٤٢) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

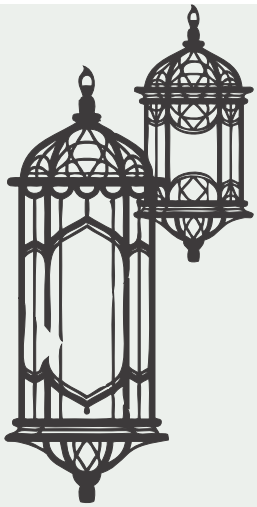

قال الشاعر:

وإذا الأُمُورُ تَزَاوَجَتْ ... فالصِّدْقُ أَكْرَمُهَا نِتَاجَا

الصِّدْقُ يَعْقِدُ فَوْقَ رَأْ ... سِ حَلِيفِهِ بالصِّدْقِ تاجَا

والصِّدْقُ يَقْدَحُ زَنْدُهُ ... في كُلِّ ناحِيَةٍ سِرَاجَا

١٠ (٢) توعَّد اللهُ تعالى الكاذبين بالعقابِ في النَّار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]. فالحذرَ الحذرَ من عذاب الله تعالى.

١١ (٢) أشدُّ أنواعِ الكذبِ: الكذبُ على اللهِ تعالى بتحريم ما أحلَّ وتحليل ما حرَّم، افتراءً على اللهِ تعالى وتَقَوُّلًا عليه بغير علم. قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦- ١١٧]. فإياكَ أن تقول في شرعِ اللهِ سبحانه بغير علم، قل: اللهُ أعلم، ودُلَّ السَّائِلَ على أهلِ العلمِ والفتوى، فذلك خيرٌ من الوقوع في الإفك والافتراءِ على اللهِ جلَّ وعلا.

١٢ (٢) ابتعد عن الكَذِب مطلقًا، فلا تكذب جادًّا ولا هازلًا، فقد قال ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»(٣٤٣).

قال الشاعر:

كَذَبْتَ وَمَنْ يَكْـذِبْ فَإِنَّ جـزَاءَهُ ... إِذَا مَا أَتَى بالصِّـدْقِ أَنْ لا يُصَدَّقَا

إذا عُرِفَ الكذَّابُ بالكِذْبِ لَمْ يَزَلْ ... لَدَى النَّاسِ كذَّابًا وإنْ كَانَ صَادِقَا

ومِنْ آفَةِ الكـذَّابِ نِسـْيَانُ كِـذْبِهِ ... وتَلْقَـاهُ ذا ذِهْنٍ إذا كَـانَ حاذِقَا

(٣٤٣) رواه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥).